المحاولات البرتغالية للسيطرة على القرن الأفريقي خلال القرن السادس عشر الميلادي

أ.م.د/عبدالحكيم عبدالمجيد الهجري
قسم التاريخ، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة صنعاء

ملخص البحث:

تعد البرتغال من أوائل الدول الأوروبية التي بدأت تسعى للتوسع خارج أراضيها وذلك منذ القرن (١٥م)، ولهذا استغلت الدولة قربها الجغرافي من شمال القارة الإفريقية، فعملت على إقامة المراكز العلمية التي تهتم بالكشوفات الجغرافية، ويعد موضوع المحاولات البرتغالية والتي قامت ضمن حركة الكشوف الجغرافية للسيطرة على القرن الافريقي خلال القرن السادس عشر الميلادي، في الفترة ما بين (١٥٠٠- ١٦٠٠م) – والتي ابتدأت بالمرحلة الكشفية عبر البحار، حيث وصلوا إلى رأس الرجاء الصالح بقيادة (بارثلمو دياز)- يعد البداية الفعلية لافتتاح صفحة الاستعمار الحديث والأطماع الأوربية في القارة الأفريقية، من خلال تجارة الهند الشرقية المتمثلة (بالتوابل)، والتي اشتهرت بها. ومن ثم انتقالهم إلى مرحلة حالوا فيها السيطرة على الساحل الإفريقي الشرقي(القرن الافريقي)، من خلال فرض قوتهم حيث عملوا على بناء القلاع والحاميات الدفاعية، في سبيل تحقيق هدفهم ذلك، ومن ثم جاءت مرحلة محاولتهم النفوذ إلى الداخل، من خلال التحالف مع بعض الزعامات المحلية هناك، إضافة إلى تعاونهم الكبير من الأحباش. ومما لا شك فيه فقد لعبت الظروف الداخلية للقرن الإفريقي دوراً مهماً في تثبيت أقدام البرتغاليين في المنطقة وذلك بعد أن نجحوا وكأي مستعمر في بث روح الفرقة وزرع الخلافات بين القبائل العرقية منها والمذهبية.

Research Summary:

Portugal is one of the first European countries that started to seek expansion outside its territories since the 15th century A.D. Thus, it took advantage of its geographical proximity to the north of the African continent and it worked to establish scientific centers that are concerned with geographical discoveries.

The subject of Portuguese attempts that have been taken place within the movement of geographical discoveries to control over "the Horn of Africa" during the 16th century between (1500-1600 A.D.) is considered one of the most important attempts that took place during the aforementioned period. As this attempt started with the scouting stage across the seas, where they reached the Cape of Good Hope (Kaap De Goeie Hoop)under the leadership of Portuguese explorer Bartolomeu Dias .

This attempt was the actual commencement of Opening the page of modern colonialism and European aspirations in the African continent, through the East India trade of (spices), which East India was famous for at that period.

Then, they tend to another attempt, in which they tried to gain control of the eastern African coast (the Horn of Africa) by imposing their strength of presence. As they worked on building the fortresses and defensive garrisons, in order to achieve their main goal of control.

Final attempt of control was to influence inside the Africans by doing alliance with some of local leaders, in addition to their enormous collaboration and support they got from the Ethiopians.

Undoubtedly, the internal circumstances of the Horn of Africa played an important role in establishing the Portuguese' feet in the region, Like any colony, they have succeeded in spreading the spirit of division and internal dissension between ethnic and sectarian tribes.

تمهيد:

تعد البرتغال من أوائل الدول الأوروبية التي بدأت تسعى للتوسع خارج أراضيها وذلك منذ القرن (١٥م)، ولهذا استغلت الدولة قربها الجغرافي من شمال القارة الإفريقية، فعملت على إقامة المراكز العلمية التي تهتم بالكشوفات الجغرافية، واستدعت العلماء والمختصين ممن كان لهم علاقات مع العرب والذين استفادوا من النهضة العربية العلمية في حينها، بحيث اقتبسوا من الخرائط التي رسمها بعض المسلمين (كالإدريسي، البيروني)، وأيضاً ممن اهتموا بالبحر وريادة السفن الملاحية كابن ماجد وغيرهم.

ولذلك فإن البحث سوف يتطرق الى الأوضاع التي كان يمر بها البرتغال في القرن (١٦م) سواء كانت (سياسية . علمية . اقتصادية) وهي ما جعلتهم يفكرون بالقيام بالكشوفات الجغرافية وخاصة في إفريقيا. وفي جزئها المسمى (القرن الإفريقي). الذي كان المقدمة الأولى للاستعمار الأوروبي بالقارة هذا من جانب، ومن جانب آخر سنحاول التطرق إلى الأوضاع التي كانت سائدة في القرن الإفريقي قبيل القرن (١٦م) وفي جوانب متعددة.

نظراً للأهمية التي ميزت القرن الأفريقي وجعلته هدفاً رئيسياً سعى البرتغاليون للسيطرة عليه، حيث تكمن أهميته الإستراتيجية وذلك لوقوعه على الطريق الذي يصل أفريقيا عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي وصولاً إلى أرض التوابل (جزء الهند الشرقية) بالإضافة إلى أن بعض العوامل ساعدت البرتغاليين ودفعتهم للقيام بالرحلات والكشوف الجغرافية ونجاحهم في الوصول إلى القارة الأفريقية والمتمثلة بالقرب الجغرافي من أوروبا وإلى جانب الهدف الديني والقائم على نشر المسيحية بين الأفريقيين.

المقدمة:

يعد موضوع المحاولات البرتغالية والتي قامت في بداية القرن السادس عشر ضمن حركة الكشوف الجغرافية وصولاً إلى محاولاتهم العديدة للسيطرة على القرن الافريقي خلال القرن السادس عشر الميلادي، في الفترة مابين (١٥٠٠- ١٦٠٠م)- والتي ابتدأت بالمرحلة الكشفية عبر البحار،

حيث وصلوا الى رأس الرجاء الصالح بقيادة (بارثلمو دياز) – يعد البداية الفعلية لافتتاح صفحة الإستعمار الحديث والأطماع الأوربية في القارة الإفريقية ،من خلال تجارة الهند الشرقية المتمثلة (بالتوابل)، والتي اشتهرت بها. ومن ثم انتقالهم إلى مرحلة حالوا فيها السيطرة على الساحل الإفريقي الشرقي(القرن الافريقي)، من خلال فرض قوتهم حيث عملوا على بناء القلاع والحاميات الدفاعية، في سبيل تحقيق هدفهم ذلك، ومن ثم جاءت مرحلة محاولتهم النفوذ إلى الداخل، من خلال محاولتهم التحالف مع بعض الزعامات المحلية هناك، إضافة تعاونهم الكبير من الأحباش .

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه:

١- يتناول موضوعا مهمًا له عظم الشأن في المنطقة العربية والعالم، حيث يعتبر المنفذ البحري الذي يربط القارة الإفريقية بالعالم الإسلامي والأوروبي.

٢- يمثل لليمن ولمصر أهمية أمنية كبرى وعمقا استراتيجيًا مهماً.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى القراءة التحليلية للأوضاع التي جرت في منطقة القرن الإفريقي، ومحاولة التطرق إلى المجريات الواقعة خلال هذه الفترة (موضوع البحث) بهدف السيطرة على القارة الإفريقية.

إشكالية البحث:

يحاول البحث الإجابة على مجمل من التساؤلات التالية:

ماهي الأسباب التي نتج عنها قيام البرتغاليين بحركة البحوث الجغرافية في القرن (١٥م)؟ وهل نجحوا في ذلك؟ هل لعبت الظروف الداخلية في منطقة القرن الإفريقي الدور الهام والتي دفعت من خلالها البرتغال للسيطرة على هذا الجزء من إفريقيا؟ ثم ماهي الأحداث التي رافقتها؟ والتي مكنت البرتغاليين من تحقيق هدفهم الرئيس وهو نشر المسيحية؟ ماهي التحالفات والصراعات التي جرت بين البرتغاليين وسكان القرن الأفريقي؟

منهج البحث:

سوف تعتمد دراسة البحث المنهج التاريخي التحليلي .

أوضاع البرتغال في أوروبا قبيل القرن(١٦م)

كانت البرتغال[١] قبل قرنين من بداية القرن (١٥م)، قد نالت واستكملت وحدتها واستقلالها وذلك في القرن (١٣م) – بينما ظلت اسبانيا تطارد العرب حتى بداية هذه الفترة– ولقد بدأت تتطلع إلى خارج أوروبا وقد مرت الدولة بأوضاع يمكن أن نوجزها فيما يلي:

١– الأوضاع السياسية:

في واقع الأمر لم يكن الوضع السياسي في البرتغال مستقرًا، والسبب في ذلك يرجع إلى النزاع والتنافس الذي كان قائماً بين الملوك في الأندلس، وهو ما نتج عنه نشوب الصراع النصراني الإسلامي، مما أدى إلى طرد المسلمين من شبه الجزيرة الأيبيرية عام(١٤٩٢م) وضمها للأراضي التي أطلق عليها اسم (البرتغال)، ويعتبر الفونسو الاول المؤسس الحقيقي للملكة، إضافة إلى عوامل اقتصادية جعلت من فئات الشعب يثورون على الحكومة معلنة عن مطالبها، وهو ما دفع بهم إلى تبني عمليات الكشوف الجغرافية وغزو البحار في فترات قادمة[٢]. وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور دوافع اقتصادية وعوامل جغرافية قادت بالتالي البرتغاليين إلى التطلع خارج أرضهم والبحث عن أماكن جديدة وهو ما توضح جلياً في المستقبل القريب وهو القرن(١٦م).

٢– الأوضاع العلمية:

نتيجة لاحتكاك العرب والمسلمين بالبرتغال، والذين كانوا يحكمون بلاد الأندلس لعدة قرون فقد انتشرت المعارف العلمية وخصوصاً في الجغرافيا والفلك والملاحة، ولذلك أنشأ البرتغاليون مدرسة لتخريج الملاحين المهرة، وهم من أسسوا الموانئ البحرية فيما بعد، وقرأوا رحلة ابن بطوطة[٣]. وكان ابن بطوطة قد زار الهند والصين وإفريقيا وتعرف على أهلها وعاداتهم وتقاليدهم، ووصفها وحالة الثراء

---

[١] غربال، محمد شفيق، (وآخرون): الموسوعة العربية الميسرة، ط١ ، مج١،دار نهضة لبنان للطبع والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٠٤٧.

[٢] السلمان، محمد حميد: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين (١٥٠٧م . ١٥٢٥م)، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٠م، ص٢٦.

[٣] حميدي، جعفر عباس: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، ٢٠٠٢م، ص٧٠.

التي يعيش فيها أبناءها وخاصة في المناطق التي زارها، وعمل على تصحيح بعض المعتقدات والأفكار التي سادت أوروبا في مرحل العصور الوسطى[٤].كما يلاحظ أن البرتغاليون استفادوا من التقنيات التي استخدمها العرب في الملاحة كإستخدام البوصلة البحرية، وأضافوا إليها مؤشرا يوضح من خلاله حركة الرياح وهوما ساعد في تقدم الملاحة إلى جانب تقدمهم في مجال صناعة السفن والتي وصلت في وزنها إلى حوالي (٢٠٠) طن[٥].

الأوضاع الاقتصادية:.

أما بالنسبة للوضع الاقتصادي الذي حل على المملكة فقد تمثل بانعدام الذهب، مما أدى إلى توقفها عن إصدار العملة منذ العام (١٤٣٥م)، وقد نتج عن ذلك حدوث أزمة اقتصادية واجتماعية حادة أضرت بالتجار والدولة والطبقة البرجوازية (النبلاء، الكنيسة)[٦]. وقد ألزم انهيار الإقتصاد الضعيف الدولة لأن تتدخل، ولكن ونظراً لفقر مواردها، فقد عمل حكامها على رفع ثرواتها وذلك عن طريق الاهتمام بالتجارة والتخطيط للسيطرة على طرق وموارد إفريقيا أولاً ومن ثم الوصول إلى الشرق الإسلامي في المرحلة القادمة[٧].

هذا فضلاً على أن القرن (١٥م) كان البداية للجهود البرتغالية التي بدأت مع مطلعه وذلك بهدف التوسع الاقتصادي والذي توج على يد الأمير هنري الملاح، وهوما انعش المملكة اقتصادياً وذلك بعد كشوفاتها الجغرافية واكتشاف رأس الرجاء الصالح على يد الرحالة بارثلمو دياز[٨]. ونتيجة ازدهار الوضع الاقتصادي لدى البرتغاليين واستقرار الأوضاع الداخلية ووفرة المال وبناء السفن فقد ساعدها ذلك على التفكير للقيام برحلات الكشوف.

---

[٤] المصدر السابق، ص ٧٢.

[٥] يحيى، جلال: تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٩٩م، ص٦٣.

[٦] السلمان، محمد حميد: المصدر السابق، ص٢٩.

[٧] المصدر نفسه، ص ٢٩.

[٨] الهجري، عبدالحكيم: المحاولات البرتغالية للسيطرة على عدن (١٥١٣- ١٥٣٨م)، مجلة الثوابت، العدد(٤٨)، إبريل . يونيو٢٠٠٧م، ص٢١١ .

الكشوف الجغرافية البرتغالية:.

وقبل الحديث عن الكشوف الجغرافية وأسبابها، فإنه يتوجب علينا في البداية التطرق إلى ماذا نعني بهذا المصطلح ومن هي الدول التي قامت بهذه الحركة والتي كانت مقدمة المقدمات للاستعمار في أفريقيا .

(أ) الكشوف الجغرافية (كمصطلح).

وهي الرحلات التي قامت بها بعض البلدان الأوروبية في القرن (١٥م) بهدف الكشف عن طرق جديدة لا يتحكم بها العرب والمسلمون، ومن ثم الوصول إلى مناطق إنتاج الذهب والفضة والتوابل وغيرها من السلع، وكانت أول تلك البلدان (البرتغال) والتي استفادت من التطور العلمي لدى جيرانهم من العرب في ذلك [٩].

أسبـاب الكشـوف:

١. كان من أولى الأسباب التي دفعت بالبرتغال إلى الكشوف هي احتكار أو معرفة الطريق التجاري الذي كان يسطر عليه العرب.والذي تمثل في البحث عن السلع التي كان يشتهرون بها وخاصة (التوابل، اللبان) .

٢. اكتشاف الطريق الموصل إلى الهند وذلك لجلب العطور والتوابل الشرقية.

٣. كمـا أن السـبب المباشـر والـذي كـانوا يدعونـه وهـو دافـع نشـر المسـيحية والتبشـير بهـا فـي المناطق التي تقع خارج الإطار الأوروبي[١٠].

٤. الرغبة في اكتشاف مناطق جديدة.

---

[٩] رمضان، عبدالعظيم: تاريخ اوروبا والعالم في العصر الحديث، ج٢، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٣٥.

[١٠] الجمل، شوقي(وآخرون): تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، دار الثقافة، القاهر،٢٠٠١م ،ص١١٥.

٥. التأييد والترحاب الذي لاقاه الرحالة من قبل ملك البرتغال، وابنه الأمير هنري[١١] والمعروف بـ(الملاح) والذي كان ملماً بالجغرافيا والرياضيات، وكان متحمساً لنشر المسحية بين سكان القارة الإفريقية، والذي قاد حركة الكشوف الجغرافية[١٢].

ولذلك كله فقد كانت البرتغال أول دولة أوروبية بدأت حرك الكشوف الجغرافية، وقد تزعم الأمير هنري الملاح العمل على كسب وضم أراضي وميادين جديدة للمسيحيين، حيث أمضى حوالي(٤٠) عاماً في إعداد الحملات الاستكشافية وإيفادها إلى شواطئ أفريقيا، وإثناء ذلك تمكن البرتغال من اكتشاف بعض الجزر في المحيط الأطلسي (غرباً) مثل (مادیرا- كاناري . أزور) إضافة إلى بعض المراكز في الشاطئ الأفريقي كالرأس الأخضر (١٤٤٦م) والرأس الأبيض(١٤٤١م)، وكل هذا تم وبتشجيع من الأمير البرتغالي[١٣]. ولقد أثرت وفاة هنري الملاح عام١٤٦٠م في حركة الكشف الجغرافي ولكنها لم تتوقف خصوصاً بعد أن اثبتت التجارب للبرتغاليين بأن أفريقيا هي القارة التي سوف تهيئ لهم الموارد الغنية والثروة الطائلة من الأرباح التي سيجنونها من وراء تجارة الرقيق، والتي كان المؤسس لها الامير البرتغالي هنري[١٤]، وتواصلت تلك الجهود على يد كثير من الرحالة، والذين أسهموا وبشكل كبير في بلوغ هذه المنطقة وعبر عدة رحلات كشفية وهي على النحو الآتي:.

الرحلات الكشفية:.

(أ) رحلة بارثلمو دياز(١٤٨٧م):

شهد القرن الخامس عشر الميلادي جهودا برتغالية متواصلة من أجل الوصول إلى الهند ، ولقد بلغت هذه الجهود قمتها على يد القائد البحري الشهير بارثلمو دياز الذي قام

---

(١١) هنري الملاح : أمير برتغالي (١٣٩٤ــ ١٤٦٠م)، اشتهر بدعمه للملاحة والكشوف الجغرافية، (الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م، ص٥٠٤.

(١٢) تسن، فرغلي علي: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار الوفاء الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠١م، ص٣١.

(١٣) المصدر نفسه، ص٣٣.

(١٤) رياض، محمد : افريقيا دراسة لمقومات القارة ، ط٢ ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م، ص٤٠.

برحلة الى الطرف الجنوبي من القارة الأفريقية وعبره لمسافة قصيرة في جو عاصف بعد أن قاسى الكثير من الصعاب والعراقيل خاصة الطبيعية، وأطلق عليه (رأس العواصف)وأسماه البرتغاليون تيمنا رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٨٧م[١٥]. إلا إن تلك الجهود توقفت لعشر سنوات، والسبب في ذلك يعود إلى أن الاسبان أعلنوا عن اكتشاف طريق سهلة توصل إلى كاليكوتا[١٦]، وهو ما دفع الملك عمانوئيل الأول(١٤٩٥ – ١٥٢١م) فيما بعد لأن يوجه حكومته إلى ضرورة استئناف الحركة الكشفية[١٧].

(ب) رحلة كوفيلهام (١٤٨٧م):.

ارسل ملك البرتغال يوحنا الثاني(١٤٨١–١٤٩٥م) بيرو دي كوفيلهام إلى الشرق في عام ١٤٨٧م ، وقد حدد له الملك ثلاث مهام خلال هذه الرحلة، الأولى تتمثل في جمع المعلومات عن الحبشة التي كانت تعرف في أوربا حينئذ باسم (مملكة القديس جون او يوحنا) من اجل السعي للسيطرة عليها، وذلك في سبيل تأمين الطريق المكتشفة والمؤدية للهند، فعمل على ارسال البعثات التبشيرية الدينية إليها، والتي قامت بدور كبير في مرحلة الكشف الجغرافي، فيما كانت المهمة الثانية معرفة المصادر الاصلية للتوابل، أما المهمة الأخيرة فقد تمثلت في معرفة طرق هذه التجارة عبر البلاد العربية ووصولها إلى البندقية [١٨].

رحلة فاسكودي جاما[١٩](١٤٩٧م):

قاد فاسكودي جاما في ٨ يوليه سنة ١٤٩٧م وبتكليف من الملك حملة بحرية تألفت من أربع سفن و (١٦٠) بحاراً واتجهت في طريقها حتى وصلت للمنطقة الجنوبية الشرقية من القارة، ماراً

---

[١٥] غربال، محمد شفيق، (وآخرون): المصدر السابق، ص٥٥٠.

[١٦] الجوهري، يسري: الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، ط٣، دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٩م، ص١٥٦.

[١٧] نفس المصدر السابق، ص١٥٩.

[١٨] غربال، محمد شفيق: المصدر السابق ،ص٣٤٢.

[١٩] فاسكو دي جاما: (١٤٦٩ . ١٥٢٤م) كان أول قائد برتغالي يكتشف الطريق البحري الى الهند(ماكرو، إريك: اليمن والغرب(١٥٧١. ١٩٦٢م)، ترجمة وتحقيق: حسين عبدالله العمري، دمشق ١٩٧٨م، ص١٣.

بموزمبيق وممباسا[٢٠].على اعتبار أن منطقتي موزمبيق وممباسا من الثغور والشواطئ الأفريقية الشرقية، والتي كانت تسكنها جماعات من التجار العرب والذين كانوا يحتكرون تجارة الشرق (التوابل . اللبان)[٢١]، ولقد وصل داجاما إلى كاليكوت أهم موانئ ساحل ملبار[٢٢] في ٢٠ مايو عام ١٤٩٨م.وفي حقيقة الأمر فقد كانت الرحلة التي قام بها (فاسكودي جاما) ووصوله إلى الهند هي الرحلة الاولى في تاريخ البرتغال الى الشرق، حيث تطورت أغراض البرتغاليين من وراء الكشوف البحرية في خلالي عشر سنوات فقط(١٤٩٩-١٥٠٩م) من مجرد الرغبة في كشف الطريق البحري إلى الهند لتحقيق بعض المكاسب الاقتصادية، الى الرغبة في إحتكار التجارة الشرقية والسيطرة على مصادرها الأصلية، بل وإلى إقامة أول حكومة إستعمارية أوروبية في الشرق[٢٣].

أوضاع القرن الأفريقي نهاية القرن (١٥م)

اتسمت الأوضاع في منطقة القرن الأفريقي خلال هذه الفترة بالتدهور والفوضى السياسية، وكثرة المنازعات القبلية المذهبية بين الممالك والدول الإسلامية في شرق أفريقيا، حيث بدت تلك القوى الإقليمية بخلافاتها مترنحة وغير قادرة على رفع راية التحدي ضد المستعمرين الجدد، ولم تجتمع تحت قوة واحدة، بالإضافة إلى سياسة قصر النظر التي ميزت بعض الزعماء المحليين، وكثرة الخصومات فيما بينهم، وكانت هي السمة الأبرز التي اتضحت معالمها في هذا العصر ومن جملة تلك الصراعات ما يأتي:.

- **الصراع بين ماليندي وممباسا:**

نشب هذا النزاع مع قدوم البرتغاليين إلى المنطقة، حيث تسلم حاكم مدينة ممباسا عدة رسائل من قادة البرتغال العسكريين طالبوه فيها بعقد تحالف معهم، وقد تردد في قبول هذا الطلب، فما كان

---

[٢٠] وايدنر، دونالد: تاريخ افريقيا جنوب الصحراء [تر]: شوقي الجمل، مج٢. مؤسسة سجل العرب بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة نيويورك ١٩٧٦م ص٢٤.

[٢١] نفس المصدر السابق، ص٢٤.

[٢٢] يحتل إقليم ملبار الجزء الجنوبي من ساحل الهند الغربي،وهو إقليم خصب تكثر به التوابل ، وبه الكثير من الموانئ الهامة مثل كاليكوت وكوشن وكانور وكولم(سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني الأول لليمن(١٥٣٨-١٦٣٥م)، ط٧، دار جامعة صنعاء للطباعة والنشر، صنعاء، ٢٠١٠م، ص٧٠.

[٢٣] نفس المصدر السابق ، ص٧١.

منهم إلا أن توجهوا إلى حاكم (ماليندى) والذي عمل على الترحيب بهم وقدم لهم كل المساعدة والتي مكنتهم من أن يغزو الهند ويسيطروا على الساحل الشرقي لإفريقيا[٢٤].وفي واقع الأمر فقد إستغل البرتغاليون حالة التمزق الذي كان يعاني منها أهالي هذا الساحل، حيث عمدوا إلى تعميق هذا التمزق بهدف إضعاف سكانه وإشغالهم بخلافاتهم مع القوى الأخرى، كل ذلك كان من أهم العوامل التي مهدت الطريق للبرتغاليين للسيطرة على القرن الإفريقي[٢٥]. ومما لاشك فيه فقد لعبت الظروف الداخلية للقرن الإفريقي دوراً مهماً في تثبت البرتغاليين لأقدامهم في المنطقة وذلك بعد أن نجحوا وكأي مستعمر في بث روح الفرقة وزرع الخلافات بين القبائل العرقية منها والمذهبية.

المحاولات البرتغالية للسيطرة بحرياً:

- **السيطرة على الطريق التجاري.**

كانت البرتغال وبفضل الجهود التي بذلها الأمير هنري الملاح، والذي أكتشف الساحل الغربي لإفريقيا كما ذكرنا سابقاً، واستعمرت بعض الجزر، على يد مجموعة من المكتشفين مثل(فاسكودي جاما) الذي وصل للهند، وكابرال الذي وصل إلى البرازيل، بالإضافة إلى (البوكيرك) أشهر القادة البرتغاليين الذين ظهروا في البحار الشرقية، إلى مياه المحيط الهندي عام ١٥٠٦م، والذي أحتل عدن عام ١٥٢٣م وسيطر على البحار العربية وجعلها بحيرة برتغالية[٢٦].

وقد ساعد موقع البرتغال الممتاز على توجيه أنظاره إلى السواحل، وعملهم على اكتشاف ما وراء المحيط الأطلسي، وبعد أن نجحوا في الالتفاف حول القارة الأفريقية، للوصول إلى طريق التوابل، حيث وصلت سفنهم لأجزاء من الساحل والذي كانت تصله قوافل التبر الآتية من منطقة السودان الغربي، واسموها بنهر الذهب ثم ولوجهم إلى جزر الرأس الأخضر[٢٧]. وكان بارثلمو دياز–

---

[٢٤] فليجه، أحمد نجم: افريقيا دراسة عامة وإقليمية، مؤسسة شباب الاسكندرية، (د.ت)، ص٢٦.

[٢٥] نفس المصدر السابق، ص٢٨.

[٢٦] يحيى، جلال : تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٨٣، ص٦٥.

[٢٧] رياض، زاهر: تاريخ استعمار أفريقيا واستقلالها، دار المعرفة، القاهرة ١٩٦٦م، ص٤٤.

كما ذكرنا آنفا– قد أجتاز (رأس الرجاء الصالح) ودخلت سفن البرتغال الى المحيط الهندي، وبذلك وجد البرتغاليون طريقهم إلى الهند مصدر التوابل والحرير[٢٨].

السيطرة على البحر الأحمر:

يعتبر البحر الأحمر ذو اهمية سياسية واقتصادية وإستراتيجية كبيرة، كونه معبراً ومنفذاً مهماً لمرور التجارة، وعبر الطريقين (البري والبحري) القائمين على الجهتين العربية والأفريقية[٢٩]. وبعد أن نجح البرتغال في الوصول إلى شرق القارة، وسقطت معظم الإمارات العربية القائمة على الساحل تحت سيطرتهم ،اتجهوا بعد ذلك إلى مياه البحر الأحمر واستولوا في سنة (١٥٠٧م) على جزيرة سقطرى الواقعة في مواجهة القرن الأفريقي وتشرف على مدخل خليج عدن المؤدي إلى البحر الأحمر، وكانت عاملا حاسما في تحكم البرتغاليين في الطريق البحري المباشر بين مصر والهند[٣٠]، وهدفوا من عملهم هذا الاستيلاء والسيطرة على المدخل الرئيسي للبحر الأحمر الجنوبي[٣١]. ولقد تنبه المماليك لخطورة ما يقوم به البرتغاليون من انتشار واسع في المنطقة، واتجاههم إلى البحر الأحمر، وهو الممر الذي يؤدي إلى الأماكن المقدسة للمسلمين، فاتجهوا إلى تدعيم قوتهم على سواحله وخصوصاً قرب مدينة (جدة)، وهذا ما دفع بسلطان المماليك قانصوه الغوري(١٥٠١–١٥١٧م)، لأن يتخذ عدة إجراءات وهو ما اتضح لاحقاً، من خلال سير الأحداث[٣٢].

- **الموقف المملوكي من البرتغاليين:**

اتسم الموقف المملوكي من البرتغاليين بشيئين رئيسيين، حيث كان الأول موقف مهادنة (دبلوماسي)، تغير لاحقاً إلى موقف عسكري حربي قائم على المعارك والمناوشات والتي ستتضح معالمها على النحو الآتي:

---

(٢٨) نفس المصدر السابق، ص٤٥.

(٢٩) القوزي، محمد علي: تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت)، ص١٥.

(٣٠) أباظة، فاروق عثمان: اثر تحول التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر، ط٢، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص٣٧.

(٣١) العيدروس، عبدالقادر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر، بغداد ١٩٣٤م، ص٦٥.

(٣٢) ياغي، اسماعيل (وآخرون): تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر، ج٢، دار المريخ، الرياض١٩٩٣م، ص٢٥٢.

(أ) الموقف الدبلوماسي:

والمتمثل بموقف السلطان المملوكي قانصوه الغوري والذي كان ضعيفاً والسبب يعود إلى السيطرة البرتغالية على الطرق التجارية ،ولقد أبدى المماليك إهتماما بالغا لوقف تحول التجارة إلى أيدي البرتغاليين، ولكنهم كانوا أضعف من مواجهة هذه الدولة البحرية الناشئة ،كما كانوا أعجزمن القضاء على قوتها البحرية، نتيجة عدم امتلاكهم للسفن والأسلحة الحربية الحديثة والمتطورة، فالدولة المملوكية لم تكن بحرية كما هو حال البرتغال، بالإضافة الى ذلك فقد كانت في حال ضعف عام نتيجة لانهيار النظام المملوكي نفسه،ولقيام الاضطرابات الداخلية بها[٣٣]، وهو ما أدى إلى حدوث أزمة اقتصادية أدت في النهاية إلى انهيار وسقوط الدولة على يد العثمانيين عام ١٥١٧م[٣٤].

(ب) الموقف العسكري:.

بعد أن اتجه السلطان الغوري إلى تدعيم قوته، قام بإرسال حملة بحرية بقيادة الأمير حسين الكردي(٤نوفمبر١٥٠٥م)، كان من مهام هذه الحملة تحصين ميناء (جدة) ولبناء سور ذو أبراج عالية لحماية المدنية في حال تعرضت لأي هجوم، كما عمل على إقامة تحصينات دفاعية على طول موانئ البحر الأحمر، خاصة الثغور اليمنية، ترقباً لأي محاولة برتغالية لتهديد البلاد الإسلامية[٣٥]، كما قام المماليك أيضا في تحصين سواحل البحر الأحمر، حيث قاموا ببناء قوة بحرية في ميناء السويس، وذلك حتى تبقى على أهبة الاستعداد لمواجهة أي تحركات يقوم بها البرتغاليون في المحيط الهندي تجاه البحر الأحمر[٣٦].

(ج) المواجهة البحرية بين الجانبين (موقعة ديو)

وصلت قوة بحرية مملوكية والتي قادها حسين الكردي –كما ذكرنا آنفا– الى ديو أهم موانئ سلطنة كجرات، ولقد توجه حسين الكردي مع حاكم ديو(مالك أياس) على رأس

---

[٣٣] سالم، سيد مصطفى: المصدر السابق،ص٨٢.

[٣٤] الجمل، شوقي(وآخرون): دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، المكتبة المصرية للمطبوعات، القاهرة، (د.ت)، ص٨٥.

[٣٥] الهجري، عبدالحكيم: المحاولات البرتغالية للسيطرة على عدن(١٥١٣. ١٥٣٨م)، المصدر السابق، ص٢٢٤.

[٣٦] متولي، أحمد: البحرية البرتغالية والعثمانية في القرن ١٠هـ/ ١٦م على ضوء الوثاق التركية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد (٤) الرياض ،١٩٨٠م، ص٦٩.

أسطوليهما إلى (كاليكوت) للإشتراك مع أسطول (السامري) في القضاء على البرتغاليين في ساحل ملبار وطردهم نهائيا من الهند ،ولقد واجه القائدان أسطول برتغالي بالقرب من ميناء (شيول) مكون من ثماني سفن ،حيث نشبت بين الطرفين معركة بحرية أنتصر فيها الأسطول المملوكي وحليفه الكجراتي وذلك في خريف عم ١٥٠٨م، ولقد سارع حينئذ نائب ملك البرتغال (داالميدا) على رأس حملة بحرية مكونة من تسع عشرة سفينة إلى ديو لمواجهة هذا الخطر، وهناك أحرز البرتغاليون نصرًا حاسمًا في موقعة (ديو)[٣٧] البحرية في ٣ فيراير ١٥٠٩م، أمام سفن الحلف المصري الهندي التي بلغ عددها مائة سفينه[٣٨] وكنت تلك المعركة في حقيقة الأمر فاصلة القول في انتقال السيادة البحرية في المحيط الهندي والطرق المؤدية إليه، للبرتغاليين، وهو الأمر الذي أدى إلى حرمان العرب من القيام بأي نشاط بحري تجاري في هذه المنطقة[٣٩]. ولقد تأثرت هيبة المماليك السياسية نتيجة هزيمتهم المؤلمة على يد البرتغال، وانتهت دولتهم في مصر والشام الحجاز، وذلك على يد العثمانيين في عام (١٥١٦-١٥١٧م[٤٠].

ولقد أنشأ البرتغاليون العديد من المراكز على سواحل أفريقيا بحيث تمكنوا من مهاجمة المنشآت العربية المقامة في المحيط الهندي، ومن ثم عملوا على إحراق السفن الإسلامية، ومحاولة هدم المدن والمقدسات وطرد التجارالعرب منها، ولفرض نفوذهم قامت البرتغال بإرسال حمله إلى الشرق كان الهدف منها الوصول إلى البحر الأحمر والسيطرة عليه، بقيادة الفونسو البوكيرك ونجحوا في أن يستولوا على أهم مراكزهم المقامة على الساحل الشرقي لأفريقيا سنة (١٥٠٩م)[٤١]. من (سوفالا) جنوباً وحتى (براوه) في الشمال، بالإضافة إلى جزر زنجبار وموزمبيق وممباسا ومافيا، فضلاً على أنه قد تم في عهد

---

[٣٧] ديو: جزيرة تقع في شمال غرب الهند، وقد ظلت مستعمرة برتغالية حتى استعادتها الهند عام ١٩٦١م. (عودة، عبدالملك: السياسة والحكم في أفريقيا، القاهرة، ١٩٥٦م، ص٧١.

[٣٨] سالم، سيد مصطفى: المصدر السابق ، ص٨٥ .

[٣٩] مؤنس، حسين: الشرق الإسلامي في العصر الحديث، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٣٥م، ص١،٣٥.

[٤٠] نفس المصدر السابق، ص٣٥.

[٤١] سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني الأول لليمن،ص٧٤.

البوكيرك حدوث أول اتصال برتغالي مع الاحباش، فقد أرسلت الإمبراطورة (هيلينا) – الوصية على ابنها – أحد رجالاتها ويدعى(ماثيوس) إلى الهند ليعرض على نائب ملك البرتغال هناك التعاون بين الطرفين في مواجهة المسلمين وإعلان الحرب عليهم وخاصة المماليك في مصر[٤٢].

وتمكن هذا المبعوث من مقابلة القائد البرتغالي البوكيرك عام (١٥١٢م)، والذي بعثه إلى ملكه بعد أن حصل على معلومات ساعدته على أن يهاجم مدينة (زيلع) [٤٣]، وذلك خلال حملته على عدن والبحر الأحمر سنة (١٥١٣م)، وقد نجح في مهمته وقفل عائداً إلى الحبشة ترافقه أول بعثة دبلوماسية برتغالية إليها[٤٤]، ولا يقلل من قيمة هذا النجاح ان البرتغاليين لم يتمكنوا من أن يعيدوا (ماثيوس) وتلك السفارة إلى السواحل الا في عام (١٥٢٠م)، نتيجة الصعوبات التي طرأت على طرق المواصلات البحرية ،والى الأخطار المحيطة بالسفر حينئذ،ولقد توفى(ماثيوس) بعد قليل من وصوله إلى الساحل الحبشي قبل أن يقابل نجاشي الحبشة[٤٥].

وفي حقيقة الأمر فقد كان هدف الإمبراطورة هيلينا من وراء تصرفها – الانف الذكر – الحصول على العون والمساعدة من قبل البرتغاليين في سبيل ايقاف المد الإسلامي الذي أصبح يهدد مملكتها وخصوصاً بمدينتي (عدل) و(هرر)، فيما كان يرمي البرتغاليين من وراء ذلك تحقيق هدفهم الأسمى والمتمثل بتطويق العرب من ناحية الجنوب ولإقامة مراكز بحرية على طول البحر الأحمر لمهاجمة

---

[٤٢] المصدر نفسه، ص٩١.

[٤٣] زيلع: ميناء على الساحل الافريقي لخليج عدن، ازدهرت أوائل القرن ١٦م (غربال، شفيق: الموسوعة العربية الميسرة ص٩٢٩).

[٤٤] سالم، سيد مصطفى: المصدر السابق، ص٤٠٣.

[٤٥] وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين (١٤– ٢٠)، مج١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١، ص٤٠٣).

مصر والحجاز، والسيطرة على هذه المناطق في قارتي (آسيا. أفريقيا). وبسط نفوذهم على الطرق التجارية المجاورة للبحر الأحمر[٤٦].

السيطرة على البحر العربي في (هرمز):

بعد أن نجح البوكيرك –كما ذكرناآنفا– بالسيطرة على الهند وجعل (جوا) عاصمة للبرتغال ومركزاً تجارياً وحربياً وسياسياً، وبدأ في هذه المرحلة بتطبيق سياسة جديدة تمثلت بقيامه بمحاولة احتلال المضائق البحرية، التي تتصل بطرق التجارة (ملقا . باب المندب . عدن . هرمز)[٤٧]. ولقد عمل وبشكل حثيث للحصول على حلفاء محليين لتحقيق أغراضه العدوانية على البلاد الإسلامية عن طريق إقامة علاقات مع الأحباش، وواصل طريقة في سبيل السيطرة على جزيرة ومضيق هرمز، خاصةً بعد وفاة حاكمها[٤٨]. إلا أن الحكومة في هرمز عقدت حلفا مع الصفويين لمواجهة الخطر البرتغالي، لذلك عمد البوكيرك إلى تجهيز حملة تتجه إلى هرمز للاستيلاء عليها، وولى عليها ابن أخيه(بيرو) بعد أن كلفه بمراقبة عدن والبحر الأحمر، ثم اتجه لهرمز، وبعد محاولات دبلوماسية وعسكرية نجح في اخضاعها لسيطرتهم ورفع العلم البرتغالي فوقها وعقد تحالفا مع الصفويين ضد الأتراك[٤٩].

وفي عام ١٥١٧م هاجم البرتغاليون ميناء زيلع عاصمة دولة عدل الإسلامية وأحرقوا البلدة ودمروها ،ثم ألحقوا بها مدنية بربرة التي عاثوا فيها فسادا ودمارا، كما احتلوا في عام ١٥٢٠م ميناء مصوع الذي كانت تابعة للسلطان أحمد بن اسماعيل سلطان دهلك وملحقاتها ،وأنزلوا في الميناء أول بعثة دبلوماسية برتغالية الى الحبشة[٥٠].

---

[٤٦] بواهن، آ.آدو: تاريخ افريقيا العام في ظل السيطرة الاستعمارية (١٨٨٠- ١٩٣٥م)، مج٧، اليونسكو، باريس، ١٩٨٨م ،ص ٥٥.

[٤٧] ابن بطوطة،محمدبن عبدالله: تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، ج١، القاهرة ، ١٩٣٨م، ص١٧٣.

[٤٨] القوزي، محمد علي: المصدر السابق، ص ٤١.

[٤٩] المصدر نفسه، ص٤٤.

[٥٠] ناود، محمد سعيد: العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي،(د.ت)،ص١١١.

وفي عام ١٥٤١م توغل البرتغاليون من مصوع باتجاه الحبشة، وقاتلوا مع الأحباش ضد الامام أحمد بن ابراهيم بحجة الدفاع عن المسيحية، ولقد سعى البرتغاليون لتغيير مذهب الأحباش من الأرثوذكس إلى الكاثوليك إلا أن الأحباش رفضوا ذلك وبشدة ،وهو الأمر الذي أدى الى وقوع حروبًا عنيفة بين الأحباش وبين حلفائهم البرتغاليين، مما أدى الى طرد البرتغاليين من الحبشة نهائيًا عند نهاية القرن السادس عشر الميلادي(٥١).

- **الموقف العثماني من البرتغال:.**

بعد أن نجحت الدولة العثمانية في السيطرة على مصر والشام (١٥١٦. ١٥١٧م) وفرص قوتها على الحجاز، أدركت اهمية البحر الأحمر والحاجة الماسة لتأمين الملاحة فيه، لذلك عمدت الى مراقبة حركات السفن البرتغالية وغيرها من السفن الأوروبية، والتي بدأت تمخر عباب البحر خاصة بعد كشف طريق رأس الرجاء الصالح، وهي من الدوافع الرئيسية لذلك النشاط سواء منها الكشفي أو الاستعماري، من أجل الوصول إلى مملكة الحبشة المسيحية(٥٢). وربما يعود السبب من وجهة نظر المؤرخين بأن البرتغاليين هدفوا من وراء ذلك التفاهم، القيام بتطويق العالم الإسلامي وكان وصولهم لشرق القارة فرصة لتحقيق ذلك(٥٣).

- **الصراع العثماني . البرتغالي:**

بدأ العثمانيون يستعدون وبشكل قوي لمواجهة الخطر البرتغالي، والذي تمثل بمحاولتهم مهاجمة العرب والمسلمين، من خلال قيامهم بتأييد الاثيوبيين وتقديم المساعدة لهم ضد الممالك الإسلامية المجاورة لها وظل الوضع كما هو عليه حتى القرن ١٧م(٥٤). والملاحظ أن السلطان العثماني سليم الأول لم يتخذ أية إجراءات ضد البرتغاليين، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنه في تلك الفترة كان

---

(٥١) سالم، سيد مصطفى:الفتح العثماني الاول لليمن،ص٤٣٣ .

(٥٢) القوزي، محمد علي : تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، المصدر السابق ،ص ٤٨.

(٥٣) حميدي، جعفر عباس: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠٠٢، ص٣٥.

(٥٤) مؤلف مجهول: تاريخ الحبشة، القاهرة، ١٩٧٣، ص٢٠٣.

قد خرج من حربين كبيرين ضد الصفويين والمماليك، وفي واقع الأمر فقد جاء اهتمام العثمانيين بالقرن الإفريقي بعد ان فقدت دولة عدل سيطرتها على الحبشة ،وقد كانت القوة العثمانية التي أرسلها والى اليمن مصطفى باشا النشار قي عام ١٥٤٢م الى الحبشة لنصرة الإمام احمد بن ابراهيم تصرفا شخصيا من مصطفى باشا،ولم يكن توجها رسميا اتخذته الدولة العثمانية في استنبول[٥٥].

ولقد أبدى العثمانيون اهتماماً ملحوظاً بمنطقة القرن الإفريقي في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) لأجل مطارة البرتغاليين هناك من ناحية، ولإحكام غلق البحر الأحمر من ناحية أخرى، وقد كان نفوذ العثمانيين في القرن الإفريقي لا يتعدى حدود نيابة سواكن التي كانت تضم مينائي زيلع وسواكن، اللذين ورثهما العثمانيون عن المماليك، وبعد عزل الأمير أزدمر باشا عن ولاية اليمن في عام١٥٥٤م، أرسله السلطان سليمان على رأس جيش كبير يتكون من ثلاثة آلاف جندي الى سواكن لتدعيم النفوذ العثماني هناك وتوسيع مداه ، ونجح الأمير أزدمر باشا في أن يضم الى نيابة سواكن بعض الأقاليم الساحلية بها بما فيها ميناء مصوع [٥٦]. وفي واقع الأمر فقد كان للعثمانيين الفضل في تشكيل تغطية إستراتيجية للحفاظ على أمن العالم الإسلامي في مصر وعالم البحر المتوسط من جهة ،وعالم البحر الأحمر من جهة أخرى طوال القرن السادس عشر الميلادي، حتى أفل نجم البرتغاليين في البحار الشرقية في نهاية القرن المذكور[٥٧]، ويرجع السبب في ذلك الى أن البرتغال فقدت استقلالها وضمت الى اسبانيا في عام ١٥٨٠م[٥٨].

. إقامة المراكز التجارية.

أقام البرتغاليون خلال محاولاتهم السيطرة على القرن الإفريقي العديد من القواعد العسكرية وذلك من خلال بناء الحصون والقلاع وبناء الحاميات الدفاعية والمراكز التجارية بهدف السيطرة على

---

[٥٥] برخت، احمد ماح: وثائق عن الصومال والحبشة وارتيريا، شركة الطوبجي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١٨٩.

[٥٦] سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني الاول لليمن، ص٢١١-٤٣٠.

[٥٧] أباظة، فاروق عثمان: المصدر السابق، ص٩٤.

[٥٨] نفس المصدر السابق، ص١٣١.

الطريق التجاري المرتبط بالهند، ،حيث أقاموا أولى هذه المراكز على الساحل الأفريقي في جهته الغربية، وذلك في عهد الأمير البرتغالي (هنري الملاح) وهي (بنين) في العام (١٤٨٦م)، و(ساحل غانا) وخصوصاً في (أرجوين) و(المنيا)، ثم انطلقوا إلى الجنوب حتى وصلوا إلى سواحل (الكونغو)[٥٩].

- **البرتغاليون في شرق القارة :**

كما ذكرنا آنفاً بأنه ونتيجة لرغبة البرتغال في أيجاد محطات لهم رئيسية للطريق المؤدية إلى الهند، من خلال الاستيلاء على المراكز التجارية في المنطقة ، وبعد أن نجح البرتغاليين في السيطرة على منطقتي شمال وغرب القارة وأجزاء من الجهة الجنوبية[٦٠]. ولقد توجت جهود البرتغاليين في هذه الفترة بمحاولة السيطرة على الساحل من خلال قوة عتادهم العسكري، فتوقفوا في الساحل الشرقي(القرن الأفريقي)[٦١]، بحيث لم يحاولوا التقدم إلى الداخل، واختاروا البقاء في منطقة كانت في تكونيها الطبيعي صالحة لرسو السفن التي تصل إليها[٦٢]. واهتموا ببناء الحصون والمراكز التي تألفت من حصن وكنسية ومنشأة يقيم فيها التجار الجنود سواءً كانوا برتغاليين أو أفارقة مسيحيين[٦٣]. وفي حقيقة الأمر فقد سعى البرتغاليون عندما قدموا الى المنطقة في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، الى تدمير المدن والمراكز التجارية والحضارية العربية، فعندما استولوا على مدينة زنجبار عام (١٥٠٣م) ، --أظهروا من خلال ذلك حقدهم الدفين والقديم ضد العرب- قتلوا سكانها وأحرقوا ابنيتها وخربوا المدن والقرى، حيث تذكر المصادر أن البرتغاليين دمروا حوالي (٣٠٠) مسجد في المدينة [٦٤].وفي عام ١٥٠٥م هاجموا مدينة كلوه، ونجحوا في احتلالها بعد أن عملوا فيها القتل

---

[٥٩] إبراهيم، عبدالله، (وآخرون) : تاريخ أفريقيا الحديث المعاصر، دار الثقافة، القاهرة٢٠٠١، ص٣٠.

[٦٠] اسحاق، محمد عبدالعزيز : نهضة أفريقيا، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ،١٩٧١م،ص٢٥

[٦١] نفس المرجع السابق، ص٣٢.

[٦٢] سيلاسي، بيركيت هايتي: الصراع في القرن الأفريقي، [تر] عفيف الرزاز، ، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٠م، ص٥٥.

[٦٣] طاهر، أحمد : افريقيا فصول من الماضي والحاضر، ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥، ص٢٠.

[٦٤] كلوه: كانت حاضرة لمملكة الزنج التي تأسست في القرن ٤م ولكن لعدم اتحادها مع الممالك المجاورة لم تصمد طويلاً أمام قوة البرتغاليين (ياغي، اسماعيل(وآخرون): تاريخ العالم الاسلامي،ص٢٥٨).

والسلب والنهب، وقبل مغادرتها قاموا بإضرام النيران فيها فاحترقت كلياً ولم يتركوها إلا وهي رماداً [٦٥].

- **إقامة القواعد العسكرية:**

وفي حقيقة الأمر فقد تمكن البرتغاليون بعد استيلائهم على أهم المدن الواقعة في الشرق الأفريقي،من السيطرة على أهم أعمدة القواعد العسكرية العربية في القرن الأفريقي[٦٦]، وذلك عام (١٥٠٦م) حيث استولوا على كل من لامور وبراوه وجزيرة سقطرى[٦٧]، وكلها تقع على البحر العربي والمحيط الهندي، كما سيطروا على (موزنمبيق) عام(١٥٠٧م)[٦٨]. ونورد بعض الأعمال التي قام بها البرتغال من أجل فرض قوتهم على المنطقة وذلك من خلال الآتي:

أ) بناء الحصون على الساحل:

في واقع الأمر فقد كان لنجاح البرتغال في اختيار خط السبق عن غيرها من الدول الأوروبية في مجال الاستعمار، وقربها من الساحل الأفريقي قد ساعدها في بلوغ هذه المنطقة، والوصل إلى شرق القارة، وإقامة أول حصونهم المسمى (أرحيوم) غرباً، تلاها بناء الكثير من القلاع والحصون في أطراف أفريقيا، وكان حصن(سوفالا) أهم الحصون بالنسبة للبرتغاليين وهو من الثغور العربية القديمة[٦٩]. فيما أقاموا قلعة على الساحل الشرقي للقارة، في مدينة (ممباسا) وذلك بعد السيطرة عليها، والتي أصبحت العين الحامية لنفوذ البرتغال في هذه المنطقة، ولقد عين قائدها وكلاء له في

---

[٦٥] حميدي، جعفر عباس: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، ط١، دار الفكر للطباعة والتوزيع، عمان ٢٠٠٢م، ص٧٣

[٦٦] سمونوف، فلاديمير: أفريقيا قارة ثائره،[تر]: بدر السيد ، دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٨٢م ،ص٩٥.

[٦٧] غربال: الموسوعة العربية الميسرة، ص٩٨٦.

[٦٨] موزمبيق: مستعمرة برتغالية جنوب أفريقيا على المحيط الهندي، نشطت فيها تجارة الرقيق (وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين، ص٢٥١) .

[٦٩] موسى، عايدة العزب: العبودية في افريقيا والتاريخ المفقود ، ط١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م ، ص٤٥.

الموانئ المجاورة لها مثل (كلوه) (زنجبار) و(ممبا) [٧٠].كما اقام البرتغاليون في جزيرة سقطرى حصناً قوياً ليكون القاعدة الدائمة لعملياتهم البحرية في المحيط الهندي. [٧١].

ولقد قام البرتغاليون ايضا ببناء حصنا منيعا في مدينة موزمبيق بعد سيطرتهم عليها عام (١٥٠٧) وبنوا فيها كنيسة ونزل للجنود، وجعلوها قاعدة عسكرية لحكمهم في هذه المنطقة، وقد نجح البرتغاليون من خلال تلك الحصون والقواعد التي أقاموها أن يراقبوا النشاط التجاري، واستطاعوا ضرب حصار اقتصادي على البلاد العربية وخاصة مصر، مما أدى إلى ضعف دولة المماليك وانهيارها اقتصادياً وهو ما نتج عنه سقوطها النهائي وسيطرة العثمانيين عليها في (١٥١٧م)[٧٢].

ب- إقامة الحاميات الدفاعية:

قام البرتغاليون باتباع أسلوب دفاعي جديد من خلال إقامة الحاميات الدفاعية، والتي تمثل البداية الأولى لمحاولة السيطرة على السواحل، وذلك بعد أن فشلوا في الاستيلاء على المراكز التجارية الواقعة على ساحل البحر الأحمر مثل (هرر، مصوع، سواكن) بغية في توطيد أقدامهم في تلك المناطق[٧٣]. ولقد أنشاء البرتغاليون اول حامية على الساحل الغربي للقارة، لخدمة أهدافهم التجارية والاستعمارية، وهي (أرحويم) في جزيرة مقابلة للرأس الأبيض، ثم انتقلوا إلى الساحل الشرقي وكان أهم مركز أقاموه في سفاله لمواجهة الخطرين المملوكي والعثماني[٧٤].

- أثر الوجود البرتغالي على الساحل الأفريقي.

لعل من أهم الآثار التي تركها البرتغاليون في هذه المنطقة هي القلاع والحصون والأسوار والموانئ التي ابتنوها خلال محاولتهم السيطرة على القرن الأفريقي[٧٥]. بالإضافة إلى اننا نجدهم قد

---

[٧٠] الجمل، شوقي(اخرون): دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ص٣٧-٣٨.

[٧١] الدالي، الهادي مبروك: التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن ١٨م، الدار المصرية اللبنانية، الاسكندرية،(د.ت) ، ص٦٥.

[٧٢] المصدر نفسه، ص٦٧.

[٧٣] العمري، أحمد سويلم: الافريقيون والعرب، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٧م ، ص١٣٩.

[٧٤] متولي، أحمد: البحرية البرتغالية- العثمانية في القرن (١٥هـ/ ١٦م) ، ص٩٠.

[٧٥] عودة، محمد الخطيب: تاريخ العرب الحديث ،ص٣٦٣.

عمدوا على إعادة تعمير المدن التي تم احتلالها عسكرياً، والتي كانوا قد دمروها في السابق، وخاصة على الساحل الشرقي الأفريقي، وإقامة الكنائس الدينية في بعض التجمعات السكنية والثكنات العسكرية، بهدف نشر المسيحية بين الأفارقة، وأيضاً إقامة المراكز التجارية التي انشأوها لأغراض اقتصادية.ومن الآثار التي خلفها البرتغاليون، السياسة التي اتسمت بنوع من الاستغلال والاحتكار والمعاملة السيئة التي عاملوا بها السكان، وهو ما ترك كراهية لهم من قبل الأهالي، مما عمق في نفوسهم العدوان والعنف في سلوكياتهم وهو ما اتضح في عمليات (الرقيق) وكيف كان يتم التعامل معهم[٧٦].

العلاقات البرتغالية مع الزعامات المحلية في القرن الأفريقي:

أولاً: على السواحل الغربية (١٥٣٤):.

أراد البرتغال بعد وفاة الأمير هنري استمرارية الأنشطة البحرية، واستكمالا لما بدأه، حيث تمكنوا من الوصول إلى خليج غانا، وأقاموا بعض القلاع على سواحلها الغربية، وخلال ذلك التقدم كانوا يعقدون الاتفاقات مع رؤساء القبائل أينما نزلوا[٧٧] .

ثانياً: في السواحل الشرقية:

واجه البرتغاليون في منطقة القرن الأفريقي العديد من الصعوبات في عقد اتفاقات أو معاهدات مع الزعماء الحكام المحليين هناك، ويرجع السبب في ذلك الى استخدامهم العنف ضد السكان، اتضح ذلك بشكل جلي أثناء رحلة فاسكو دي جاما عام (١٤٩٧م) إلى الهند وبعد عودته منها، حيث قام بضرب مدينة مقديشو بالمدافع وكان ذلك نقطة البداية للصراع الطويل بين البرتغاليين والعرب[٧٨]. أما في زنجبار فقد كانت علاقتهم مع حاكمها مضطربة، ولذلك لم تنجح قواته في أن تتصدى لهجوم السفن البرتغالية المجهزة بأحدث الأسلحة من مدافع ثقيلة، ما اضطر بسلطانها لأن

---

[٧٦] القوزي، محمد علي : تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، ص١٤.

[٧٧] جوليان ، شارل اندريه: تاريخ افريقيا (تر): طلعت عوض أباظه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٦م ، ص١٥

[٧٨] وزارة التربية التعليم: التاريخ الحديث، ط١٨، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٣م، ص٤٥.

يدفع الفدية مقابل انسحاب تلك القوات[٧٩]. كما أجبر البرتغاليون حكام كلاً من كلوة وممباسا وزنجبار بالإضافة إلى مدينة (سفاله)[٨٠].على تقديم المؤن والغذاء لقادة القلاع والحصون التي اقامها البرتغاليين، وهو الأمر الي يؤكد أن العلاقة بين الطرفين اتسمت خلال هذه المرحلة بمعاداة كل طرف للآخر [٨١]. فيما نجحوا في استمالة شيوخ مالندي حيث استغلوا فرصة الصراع بينهم وبين حكام ممباسا[٨٢].

ولقد حاولت البرتغال أن تسيطر على مناجم الذهب في منطقة القرن الأفريقي وإدارتها لصالحها وذلك على أسس علمية حديثة، والعمل على طرد التجار العرب منها والذين كانوا يزاولون مهنة التبادل السلعي فيها منذ قرون، بعد أن نجحوا في تمهيد المواصلات بين المنطقة والساحل ولهذا ارسلوا عدة حملات محاولين اخضاع السكان لسلطاتهم وهو ما أدى للاحتكاك المستمر مع زعماء القبائل المحلية، والذين كانوا يزاولون نفس النشاط مع العرب المقيمين في الثغور الساحلية[٨٣].

وهنا تجدر الإشارة، إلى أن هذا الجانب من العلاقات قد أثر سلباً على مجريات الأوضاع في القارة، ولإعطاء صورة أوضح عن هذا الصراع وتلك المحاولات المبذولة من البرتغال، بعد أن نجحوا في الوصول لشرق القارة، تحدث بعض الرحالة بأنه وقبل مجيء البرتغاليين إلى المنطقة بزمن قامت فيها مملكة أفريقية عرفت ب(الموبوماتابا)، كونها قبائل من البانتو وكانت هذه القبائل تستخرج الصخور المحتوية على الذهب فتطحنها وتغربلها بحيث تعزل المعدن وتبيعه للوسطاء العرب[٨٤]. ثم يقوم هؤلاء التجار بنقله عبر نهر (الزمبيزي)[٨٥] إلى كلوة وهو الميناء التجاري الذي أسسه العرب على الساحل الشرقي، أو عبر الطرق المؤدية لميناء سفاله، ولقد سيطر البرتغاليين على تلك المملكة

---

[٧٩] المصدر نفسه، ص٤٨.

[٨٠] سفاله: مدينة في الجزء الجنوبي الشرقي من موزمبيق كانت في أقاصي مملكة الزنج زارها كثير من البرتغاليين وكانت الثغر الوحيد لتصدير الذهب (وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين ،ص٩٨٣)

[٨١] وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين، ص٨٢٠.

[٨٢] غربال، محمد شفيق، وآخرون: الموسوعة العربية الميسرة، ص١٠٦٢.

[٨٣] العمري: احمد حمود: عمان وشرق أفريقيا، عمان، ١٩٨٠، ص٧٠.

[٨٤] ياغي، إسماعيل ، (وآخرون): تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر، ص٢٥٤.

[٨٥] الجمل، شوقي: تاريخ أفريقيا، ص٣٤.

بهدف الاستحواذ على مناجم الذهب فيها[٨٦]. ولكنهم رأوا أن استخرج الذهب سيكلفهم أكثر من قيامهم بعملية شرائه من الأهالي، ولقد حاول البرتغاليين الوصول أيضاً لمناجم الفضة والتي قيل انها كانت موجودة في هذه المملكة، لكن مهاجمة القبائل في المنطقة للحصون التي أقامها البرتغاليون حالت دون تحقيق غرضهم الآنف الذكر، وبهذا فقد البرتغاليون كل أمل نحو تحقيق هدفهم، واكتفوا بفرض الضرائب على زعماء المناطق في الداخل، وتركهم يستخرجون مواردهم بأنفسهم، وظل اولئك الحكام يقدمون ضرائبهم كل ثلاث سنوات، ومع مرور الوقت تحول الامر إلى احتكار الدولة للموارد[٨٧].

وبالإضافة الى ذلك عقد البرتغاليون العديد من الاتفاقات مع زعماء تلك المناطق والذين تعهدوا بحماية التجار البرتغال وممن يرغب بالعمل في مناجم الذهب وأن يقتصر التعامل معهم دون العرب [٨٨]، على أن عددا من التجار البرتغال استقروا في تلك المناطق وأثروا فيها[٨٩]. كما عمد البرتغاليين على انتزاع مساحات كبيرة من الأراضي على ضفاف نهر الزمبيزي وفي الساحل، من خلال شراء تلك الأراضي من زعماء القبائل باستخدام القوة والتهديد وبأبخس الأثمان[٩٠]. وبذلك يمكن القول بأنه قد وجدت بعض القوى التي تحالفت مع البرتغاليين وقدمت لهم العون، بينما نرى جماعات أخرى تجمعت وشكلت نوعاً من المقاومة الشعبية ضد المستعمر البرتغالي، وقادت حركات الجهاد في سبيل نيل استقلالها، وحرية بلدها.

---

[٨٦] رأفت، إجلال، (وآخرون): القرن الأفريقي (المتغيرات الداخلية والصراعات الدولية)، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٨٧.

[٨٧] حافظ، صلاح الدين: صراع القوى العظمية حول القرن الأفريقي، في : مجلة عالم المعرفة، العدد(٤٩)، المجلس الوطني للثقافة والفنون . الكويت١٩٨٢م، ص٨٥؛ الجمل، شوقي (وآخرون): دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ص٧٨.

[٨٨] أحمد، عبدالعال: البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه نصوص جديدة مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني (بامخرمه) كما سجلها في مخطوط قلادة النحر، (دراسة وتحقيق) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٦٦.

[٨٩] المصدر نفسه، ص٨٠

[٩٠] العيدروس، محمد حسن: تاريخ العرب الحديث ،القاهرة ٢٠٠١م ، ص ٤٥.

- **المقاومة الشعبية ضد المستعمرين البرتغاليين:**

واجه البرتغاليون في شرق إفريقيا(القرن الأفريقي) ثورات متعددة ومقاومة من الأفريقيين والعرب المستقرين بهذه المناطق ومن أبرز هذه الثورات ثورة (سلطان ممباسا)، والثورة التي تزعمها(مير علي) في مقديشو وامتدت الى المناطق المجاورة ، وثورة (الأمام أحمد بن ابراهيم في الصومال)، وقد استعان البرتغاليين بقواتهم البحرية لإخمادها.وقد لقيت تلك الثورات تأييدا من قبل العثمانيين، ولذلك أضطر البرتغاليين في نهاية المطاف لتركيز سلطتهم في مناطق محدودة فاتخذوا من موزمبيق والتي استعمروها عام(١٥٠٧م) مقرًا لهم واهتموا بتحصينها لتصبح مركزا لسيادتهم بشرق إفريقيا[٩١].

- **ثورة سلطان ممباسا(١٥٢٨م):**

لم يستطع البرتغاليون أن يوطدوا أقدامهم بسهولة في شرق أفريقيا بسبب مقاومة السكان لهم، فقد بدأت في سلطنة ممباسا حركة المقاومة العربية ضد البرتغاليين في (٩٣٥هـ/١٥٢٨م) ، حيث حاول سلطان المدينة تحريض السكن في (زنجبار) على طرد البرتغاليين، إلا أن السلطات البرتغالية أسرعت بضرب حصار عليها، ثم عرضت على الحاكم فرض معاهدة تشترط فيها مقابل فك الحصار أن يدفعوا فدية لهم أو يتعهدوا بعدم الاتصال المباشر بالعثمانيين[٩٢].ومع ذلك فقد نجح العثمانيون في أن يحدوا من الضغط البرتغالي على التجار العرب والإمارات العربية الساحلية، حيث حطموا كل المحاولات الرامية إلى تكوين (جبهة أوروبية. حبشية) ضد القوى العربية[٩٣].

- **ثورة علي ميرال (١٥٨٨م):**

امتد نضال العثمانيين ضد البرتغاليين الى الساحل الشرقي لأفريقيا .فقد أرسل السلطان العثماني مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥م) أحد أمراء البحر العثمانيين ويدعى (علي ميرال)[٩٤]

---

[٩١] الجمل، شوقي (وآخرون):تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر،ص١١٤.

[٩٢] المصدر نفسه، ص١٧.

[٩٣] يحيى، جلال: تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر. المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص١١٢.

[٩٤] الجمل، شوقي (وآخرون): المصدر السابق، ص١٢١.

عام١٥٨٨م على رأس قوة لتخليص البلاد الإسلامية الواقعة على الساحل الشرقي لإفريقيا في (مدغشقر) و(براوا) و(قسيمايو) و(مقديشو) من السيطرة البرتغالية، وقد قوبل القائد العثماني بالترحاب من قبل سكان تلك الإمارات الإسلامية، اذ نظروا إليه نظرة المخلص من يد الأجنبي وفضلوا الخضوع للعثمانيين المسلمين عن الولاء للبرتغاليين[٩٥]، ولقد استطاع ميرال وبمساعدة الأهالي على أن يحتجز بعض السفن البرتغالية ويرسل بحارتها إلى الاستانه، إلا أن ثورته ضد البرتغاليين لم يكتب لها النجاح حيث وقع اسيراً في أيدي البرتغاليين وأرسل إلى (لشبونة) عاصمة البرتغال وتوفي هناك، غير أن العثمانيين لم يستطيعوا ان يحتفظوا في هذه البلاد بقوات تثبت سلطانهم وتحمي السكان من غارات البرتغاليين الذيم ما لبثوا أن استعادا نفوذهم على المدن والأمارات العربية الواقعة على الساحل الشرقي لأفريقيا، باستثناء مقديشو[٩٦].

- **ثورة** الإمام أحمد بن إبراهيم **(الصومال):**

من ضمن الشخصيات الإسلامية القوية التي ظهرت في منطقة القرن الأفريقي في ذلك الوقت الإمام أحمد بن إبراهيم(١٥٠٦-١٥٤٢م)[٩٧] والملقب (بأحمد جرين)- حيث شعرت القوى الاستعمارية بخطورته- والذي تمكن من توحيد كلمة الناس وبدأ جهاده الطويل من أجل وضع حد لهذه السياسة، في حين أن الحبشة كانت منقسمة إلى مقاطعات، وتمتاز في غالبيتها بوجود مسلمين بينما كان الجزء الأخر منقاد وخاضع لحكامه من العرب[٩٨]. ولقد عمد الإمام أحمد بن إبراهيم الى تكوين جبهة

---

[٩٥] أباضة، فاروق عثمان: اثر تحول التجارة العالمية الى رأس الرجاء، ص١٣٠.

[٩٦] غربال، محمد شفيق، وآخرون: الموسوعة العربية الميسره،، ص .٩٥٠.

[٩٧] يوسف، عبدالملك محمد: الإمام أحمد بن إبراهيم ودوره في القرن الإفريقي (٩١٢-٩٤٩هـ/١٥٠٦-١٥٤٢م)، رسالة ماجستير (لم تنشر)، قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، ٢٠١٣م، ص٥٩-٦٧.

[٩٨] الجمل، شوقي، (وآخرون): دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ص٦٠.

قوية لمقاومة البرتغاليين ، حيث سار من هرر وبلاد عدل ماراً(بسواكن) [٩٩]، ومنها إلى بقية الأقاليم الحبشية لتوحيد الصفوف بين مجاهديها.

ولقد قدم العثمانيون للإمام أحمد بن إبراهيم يد العون والمساعدة، خصوصاً بعد علمهم بمهاجمة البرتغال للسويس عام (١٥٤٠م)، ومحاولاتهم مهاجمة جده وينبع، ولم تكن مساعدتهم له بالكافية[١٠٠]. إلا أن قواته انتصرت رغم ضعف إمداداتها، عندها أسرع الاحباش بطلب العون من البرتغال، والذين أرسلوا فرقة مكونه من المدفعية والبحرية لمساعدتهم ضد المقاومين، والتي وصلت سنة (١٥٤١م)، إلى ميناء مصوع حاملين معهم الأسلحة النارية والمدافع الثقيلة[١٠١]. وبالتالي أدى وصول تلك الأسلحة إلى تفوقهم، أما بالنسبة للمجاهدين فكانت مؤنهم قد قاربت على النفاذ، وفي نهاية المعركة أستشهد المجاهد(أحمد جرين) في ميدان القتال عام (١٥٤٣م)، وعادت جموع الثوار إلى بلادهم، وبذلك انتهت الحرب بمحافظة الاحباس على قوتهم[١٠٢].

- **التعاون البرتغالي مع الحبشة ضد العثمانيين:**

عقد البرتغاليون حلفا مع حاكم ممباسا لمواجهة القائد العثماني الأمير (علي بك شلبي)، الذي كان قد اتخذ منها قاعدة لتحركاته الحربية، ولقد استطاع جذب اهتمام القادة الأفارقة إليه بحيث أثار في صفوفهم موجه كره للبرتغاليين[١٠٣]. حيث كانت تحركاته تلك تصل تباعاً للسلطات البرتغالية بواسطة حاكم بلدة (مالندى)، والذي كان موالياً لهم، ولقد شهد عام ١٥٨٦م معارك عنيفة بين الجانبين،حيث هاجم القائد العثماني قاعدة البرتغال في هذه البلدة، إلا أن أحد الاساطيل البرتغالية هاجمته ودحرته وحاصرته في (ممباسا) وتفاجأ بالآلاف من القبائل الحبشية الزنجية، فوقع بين فكي الكماشة الأحباش من جهة والبرتغاليين

---

[٩٩] يوسف،عبدالملك محمد:المصدر السابق، ص٦٠.

[١٠٠]الجمل، شوقي ، (وآخرون):المصدر السابق، ص٦١.

[١٠١] ياغي، إسماعيل (وأخرون): تاريخ العلام الاسلامي الحديث والمعاصر، ص٢٥٥.

[١٠٢] العيدروس، محمد حسن: المصدر السابق ، ص٩٧.

[١٠٣] طاهر، أحمد : افريقيا فصول من الماضي والحاضر، ص٤٥٠.

من جهة أخرى[١٠٤]. ولذلك فضل الاستسلام للبرتغال، ويقال بأنه أرسل اسيراً إلى لشبونة ومات فيها، عقب ذلك عمد البرتغاليين إلى تثبيت مواقعهم على المحيط الهندي حيث قاموا سنة (١٥٨٦م) ببناء قلعة فيها وأطلقوا عليها(الميرانتي) أي الأدميرال، وقد أثر على مجريات الأحداث بروز قوتين جديدتين في المنطقة وهما، الهولنديين والانجليز[١٠٥]. اتخذ الصراع بين العثمانيين والبرتغاليين على السواحل الأفريقية الشرقية صورا متعددة، منها أن الدولة العثمانية كانت تؤيد تعاون الممالك الإسلامية المحيطة بهضبة الحبشة والتي سميت بممالك الطراز ،بينما كانت البرتغال تؤيد الحبشة وتعينها على مهاجمة هذه الممالك المحيطة بها[١٠٦] .

وبذلك نقول بأن البرتغاليون وبتحالفهم مع الأحباش، شكلا بهذا قوة كبرى وقفت في وجه القوة الإسلامية والتي كان يمثلها (العثمانيون) والذين ومع نهاية القرن ١٦م، استطاعوا أن يوقفوا المد البرتغالي حول منطقة القرن الأفريقي بحيث لم يتمكنوا من أن ينفذوا إلى داخل القارة، وإنما سيطروا على البحر والساحل الشرقي لأفريقيا فقط.

- **البرتغاليون والشركات الأجنبية التجارية:**

لما كانت جهود البرتغال قاصرة عن الاستغلال الكامل لمستعمراتها في شرق إفريقيا ،بسبب قلة عدد البرتغاليين في تلك المستعمرات والحاجة الملحة الى رؤوس أموال ضخمة لاستغلال المستعمرات ،فقد منحت البرتغال في مستعمراتها امتيازات كبيرة لشركات أجنبية تجارية تابعة لدول أخرى[١٠٧] وفي واقع الامر فان الاسباب في ذلك تعود الى ان الملك البرتغالي كان يحتكر تجارة السلع المربحة فلم يترك مجالا للبرجوازية في الأنظمة الهولندية والفرنسية والبريطانية ،إذ إن تأسيس البرجوازية للشركات الاحتكارية كان يربط مصالح كثير من الافراد بحركة الاستعمار ،هذا فضلا عن عدم وجود نظام دقيق في البحرية البرتغالية ،وتكرر حوادث التمرد والخلافات بين الضباط البرتغاليين، وهو الأمر الذي أدى

---

[١٠٤] وايدنر، دونالد: تاريخ افريقيا جنوب الصحراء ، ص٥٨.

[١٠٥]المصدر نفسه، ص٦٠

[١٠٦] أباظة، فاروق عثمان: اثر تحول التجارة العالمية الى رأس الرجاء ص١٣٠.

[١٠٧] الجمل ،شوقي(وآخرون):تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ،ص١٢٣.

الى ظهور قوى بحرية جديدة في المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر في آواخر القرن السادس عشر الميلادي ،تمثلت هذه القوى في الهولنديين والبريطانيين والفرنسيين ،وقد تميزت هذه القوى المنافسة بأنها كانت أكثر إدراكا للمصالح التجارية، فقد دخلت هولندا حلبة الصراع في البحار الشرقية لتحقيق أهدافها الإستعمارية عندما أسست شركة الهند الشرقية الهولندية عام ١٥٩٤م[١٠٨] ثم أعقبتها انجلترا التي أسست شركة الهند الشرقية الانجليزية في عام١٦٠٠م، وكذلك أسست فرنسا شركة الهند الشرقية الفرنسية عام ١٦٦٤م، [١٠٩] مما أدى في نهاية المطاف الى تحطيم الاحتكار البرتغالي لتجارة الشرق الذي استمر قرابة قرن من الزمان منذ ان وصلت السفن البرتغالية الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح في عام ١٤٩٨م[١١٠] .

وفي نهاية المطاف نستطيع القول أن الإمبراطورية البرتغالية في الشرق سارت إلى الاضمحلال والزوال ،عندما فقدت استقلالها ووقعت تحت الاحتلال الاسباني لمدة ستين عاما(١٥٨٠-١٦٤٠م) وأهملت اسبانيا مستعمرات البرتغال في الشرق مما جعلها نبها للدول الأخرى[١١١]، ولقد وقف في وجه البرتغاليين- بعد أن نشروا الخراب في الشرق- كل من العثمانيين والعمانيين والفرس والانجليز ،حيث استطاع العثمانيون أن يطردوا لبرتغاليين من البحر الأحمر ثم سيطروا على الأجزاء الشمالية من شرق افريقيا(ارتيريا وشمال الصومال)بينما تمكن العمانيون من طرد البرتغاليين من بلادهم، ثم لاحقوا البرتغاليين في شرق أفريقيا وأجلوهم عنها، وحلوا محلهم في السيادة على الأجزاء الجنوبية من شرق أفريقيا، واقتصر دور الفرس والانجليز على التعاون بينهما على طرد البرتغاليين من منطقة الخليج العربي[١١٢].

---

[١٠٨] العقاد، صلاح: التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٢١.

[١٠٩] Hoskin, H.L: British Routes to India,1928. PP.4

[١١٠] أباظة، فاروق: أثر تحول التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصالح، ص١٣٣.

[١١١] البطريق، عبدالحميد (وآخرون): التاريخ الأوروبي الحديث ،دار النهضة العربية، بيروت (د.ت)، ص٥٧.

[١١٢] شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، ج٨، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م، ص٥٦٨.

.

نتائج البحث:

بعد نهاية البحث تم التوصل إلى النتائج الآتية:

١- بين البحث عن حجم النزاعات وعمق الخلافات التي كانت تعاني منها منطقة القرن الإفريقي والتي كانت من أهم دوافع الاستعمار البرتغالي ونتائجه في ذات الوقت.

٢- لم يتمكن البرتغاليين من النفوذ والسيطرة على الداخل وإنما اقتصرت على منطقتي البحر والساحل.

٣- تركز وجود البرتغاليين في (أنجولا وموزمبيق) فيما بعد حتى نالتا استقلالهما.

٤- قامت العديد من الثورات الشعبية في منطقة القرن الإفريقي المناهضة لمحاولات البرتغال للسيطرة عليه، نتيجة الاستغلال والاحتكار الذي مارسه البرتغاليين ضد أهالي القرن الإفريقي.

٥- نجاح الاستعمار البرتغالي في تشويه الأثر العربي الذي وجد في شرق القارة الأفريقية، مستغل بذلك تهمتي الاستغلال التجاري للبحار العربية، وتجارة الرقيق.

٦- أن البرتغال وعلى الرغم من صغر مساحتها وقلة سكانها، إلا إنها فكرت في الخروج عن إطارها الأوروبي إلى آفاق العالم الأوسع.

التوصيات:

١- ندعو الجامعات اليمنية ومراكز الأبحاث والدراسات التاريخية إلى الإهتمام بدراسة منطقة القرن الإفريقي وذلك لما لها من أهمية سياسية وإستراتيجية كبرى بالنسبة لليمن والدول المجاورة.

٢- ندعو جميع الباحثين الى كتابة وتدوين تاريخ اليمن وعلاقته بأفريقيا خاصة القرن الإفريقي، وذلك لكون الموقع يمثل عمقا استراتيجيًا للطرفين، بحيث انه يتأثر كل طرف بما يحدث لدى الطرف الاخر.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية والمراجع:

١. أحمد، عبدالعال: البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه نصوص حديده مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني(بامخرمه) كما سجلها في مخطوط قلادة النحر، (دراسة وتحقيق)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م.

٢. أباظة، فاروق عثمان: اثر تحول التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر،ط٢،دار المعارف، القاهرة،(د.ت).

٣. إبراهيم، عبدالله، (وآخرون): تاريخ افريقيا الحديث المعاصر، دار الثقافة، القاهرة٢٠٠١ .

٤. ابن بطوطة، محمد بن عبدالله: تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، ج١، (د.ن)، القاهرة، ١٩٣٨م.

٥. اسحاق، محمد عبدالعزيز : نهضة أفريقيا، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٧١م.

٦. برخت، احمد ماح: وثائق عن الصومال والحبشة وارتيريا، شركة الطوبجي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٣م.

٧. البطريق، عبدالحميد(وآخرون):التاريخ الأوروبي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت (د.ت).

٨. بواهن، آ.آدو: تاريخ أفريقيا العام في ظل السيطرة الاستعمارية(١٨٨٠-١٩٣٥م)، مج٧ . اليونسكو، باريس١٩٨٦م.

٩. تسن، فرغلي علي: تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندري ٢٠٠١م.

١٠. جوليان، شارل اندريه: تاريخ افريقيا (تر): طلعت عوض أباظة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨٦م.

١١. الجوهري، يسري: الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، ط٣، دار المعارف، الاسكندرية ١٩٧٩م.
١٢. حافظ، صلاح الدين: صراع القوى العظمية حول القرن الأفريقي، سلسلة عالم المعرفة، العدد(٤٩)، المجلس الوطني للثقافة والفنون. الكويت١٩٨٢م.
١٣. الحميد، عبداللطيف: البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٤م.
١٤. حميدي، جعفر عباس: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، دار الفكر للطباعة والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢.
١٥. الجمل، شوقي(وآخرون): تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، دار الثقافة، القاهر، ٢٠٠١م.
١٦. الجمل، شوقي (وآخرون): دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، المكتبة المصرية للمطبوعات، القاهرة، (د.ت).
١٧. الدالي، الهادي مبروك: التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن ١٨م، الدار المصرية اللبنانية، الاسكندرية،(د.ت).
١٨. رأفت، إجلال، (وآخرون): القرن الأفريقي (المتغيرات الداخلية والصراعات الدولية)، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٥م.
١٩. رمضان، عبدالعظيم: تاريخ اوروبا والعالم في العصر الحديث، ج٢، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.
٢٠. رياض، زاهر: تاريخ استعمار أفريقيا واستقلالها، دار المعرفة، القاهرة ١٩٦٦م.
٢١. رياض، محمد: افريقيا دراسة لمقومات القارة ، ط٢ ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م.
٢٢. الزركلي، خيرالدين: الأعلام، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،١٩٨٤م.
٢٣. سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني الاول اليمن(١٥٣٨ . ١٦٣٥م)، ط٧، دار جامعة صنعاء للطباعة والنشر، صنعاء، ٢٠١٠م.
٢٤. السلمان، محمد حميد: الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة مابين(١٥٠٧-١٥٢٥م)، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين،٢٠٠٠م.

٢٥. سلاسي، بيركيت هايتي: الصراع في القرن الأفريقي. [تر] . عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ١٩٨٠.
٢٦. سمونوف، فلاديمير: أفريقيا قارة ثائره .[تر]: بدر السيد . دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٨٢م. شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، ج٨، ط٤،المكتب الإسلامي، بيروت،١٩٩١م.
٢٧. طاهر، أحمد: افريقيا فصول من الماضي والحاضر. دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥.
٢٨. عبدالرزاق، عبدالله، الجمل، شوقي: دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، المكتب المصري للمطبوعات، القاهرة(د.ت).
٢٩. عبدالرسول، كوثر، رياض، محمد: أفريقيا دراسة لمقومات القارة، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م.
٣٠. العقاد، صلاح: التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الانجلو مصرية ،القاهرة، ١٩٦٥م.
٣١. العمري: أحمد حمود: عمان وشرق أفريقيا، عمان، ١٩٨٠.
٣٢. العمري، أحمد سويلم: الافريقيون والعرب . مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٧م (د.ط).
٣٣. عودة، عبدالملك : السياسة والحكم في أفريقيا.(د.ت)، القاهرة ١٩٥٦م.
٣٤. عودة، محمد، (وآخرون) : تاريخ العرب الحديث. الاهلية للنشر، عمان(د.ت).
٣٥. العيدروس، عبدالقادر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر، بغداد ١٩٣٤م.
٣٦. العيدروس، محمد حسن: تاريخ العرب الحديث،القاهرة ٢٠٠١م.
٣٧. غربال، محمد شفيق، وآخرون: الموسوعة العربية والميسرة، ط١، مج، دار نهضة لبنان للطبع والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.
٣٨. فليجه، أحمد نجم الدين: افريقيا دراسة عامة وإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية (د.ت). القوزي، محمد علي: في تاريخ افريقيا الحديث والمعصار، دار النهضة العربية، بيروت (د.ت). ماكرو، إريك : اليمن والغرب (١٥٧١. ١٩٦٢م) [ترجمة وتحقيق] : حسين عبدالله العمري، دمشق ١٩٧٨.

٣٩. موسى، عايدة العزب : العبودية في افريقيا والتاريخ المفقود، ط١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ٢٠٠٤م.

٤٠. مؤلف مجهول: تاريخ الحبشة، القاهرة، ١٩٧٣.

٤١. مؤنس، حسين: الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ط١، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٣٥م.

٤٢. ناود، محمد سعيد: العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي،(د.ت).

٤٣. نصر الدين، إبراهيم، رأفت إجلال: القرن الأفريقي (المتغيرات الدولية والصراع الدولي)، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥م.

٤٤. وزارة التربية التعليم: التاريخ الحديث، ط١٨، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٣م.

٤٥. وايدنر، دونالد: تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء [تر]: شوقي الجمل، مج٢، مؤسسة سجل العرب بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك ١٩٧٦م.

٤٦. وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن (١٤-٢٠)، ط٣، مج١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧١م.

٤٧. ياغي، إسماعيل، شاكر، محمود: تاريخ العلام الاسلامي الحديث والمعاصر، ج٢، دار المريخ، الرياض ١٩٩٣م.

٤٨. يحيى، جلال: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية ١٩٨٣م.

٤٩. يحيى، جلال: تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٩٩م.

ثانيا الرسائل العلمية:

١- يوسف، عبدالملك محمد: الإمام أحمد بن إبراهيم ودوره في القرن الإفريقي (٩١٢-٩٤٩هـ/١٥٠٦-١٥٤٢م)، رسالة ماجستير (لم تنشر)، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، ٢٠١٣م.

ثالثا: المجلات الدورية:

١- متولي، أحمد: البحرية البرتغالية العثمانية في القرن (١٥هـ/ ١٦م) على ضوء الوثائق التركية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد (٤) الرياض،١٩٨٠م.

٢- الهجري، عبدالحكيم: المحاولات البرتغالية للسيطرة على عدن (١٥١٣. ١٥٣٨م)، مجلة الثوابت، العدد (٤٨) ابريل . يونيو ٢٠٠٧م.

رابعاً: المصادر الأجنبية :

1- Hoskin,H.L:British Routes to India,1928.